الاستشراق في ثلاثة كتب

أمين سليمان سيدو
أمين مكتبة المركز الثقافي
بالجمعية العربية السعودية للثقافة والفنون

أعرض هنا ثلاثة كتب تدور حول موضوع الاستشراق بوصفه موضوعاً يستحق إلقاء الضوء عليه، كي يكون القارىء العربي المسلم على بينة بأهمية هذا الموضوع وخطورته.

والاستشراق هو الخيط الرفيع الذي يربط بين موضوعات الكتب الثلاثة التي نقدمها من خلال عرض سريع يتناول أبرز ما فيها، مركزاً على ظاهرة الاستشراق بكل ما تثيره من أفكار وقضايا ومشكلات.

○ ○ ○

بارت، رودي / الدراسات العربية والإسلامية في الجامعات الألمانية : المستشرقون الألمان منذ تيودور نولدكه. ترجمة مصطفى ماهر ــ القاهرة : دار الكاتب العربي للطباعة والنشر، (د.ت)، ١١٠ ص.

مهد المترجم لهذا الكتاب، بمقدمة مشيراً إلى أعمال المؤلف في مجال الدراسات الإسلامية، والعربية، وأهمية الكتاب بالنسبة للقارىء العربي، بالإضافة إلى أهمية أعمال المستشرقين في مجال الدراسات الإسلامية . ثم مقدمة مؤلف الكتاب، التي تحدث فيها عن إهتمامه بالدراسات الشرقية. وزيارته لتيودور نولدكه أستاذ الاستشراق الجليل الذي حظى بتقدير عالمي في مادته، فكانت بداية رحلة لعالم الاستشراق، ساعياً إلى البحث عن الحقيقة الخالصة، هذا العلم ــ كما يراه المؤلف ــ هو نتيجة نشاط أجيال عديدة من العلماء. وينتقل المؤلف معرفاً الاستشراق ــ والاستغراب ، مبيناً أن الاستشراق علم يختص بفقه اللغة خاصة، وكلمة استشراق مشتقة من كلمة (شرق) وكلمة شرق تعني مشرق الشمس، وعلى هذا يكون الاستشراق هو علم الشرق، أو علم العالم الشرقي. أما الاستغراب، أو علم الغرب فقد بيّن المؤلف بأن الدكتور محمد رحباد دعا في المؤتمر الإسلامي العالمي الذي أنعقد في لاهور في ديسمبر ١٩٥٧/ يناير ١٩٥٨، بحماس إلى هدف من هذا القبيل، ولكنه لقى معارضة شديدة، ثم يذهب المؤلف بالحديث عن عصر التنوير وعصر الرومانتيكية، وتطور الدراسات العربية، مما يدل على مدى الأهمية التي ما زالت تتسم بها، والاعتراف لعالم الشرق بكيانه الخاص الذي تحكمه نظمه الخاصة، ويرى المؤلف بالنسبة للدراسات الإسلامية كعلم تاريخي ظاهرة تلقى أسبقية في ميدان البحوث الاستشراقية، ولكن العالم الواسع المترامي الأطراف ما كان ليحس بالعرب لو لم يتحولوا بفضل صلتهم بالإسلام إلى عامل من عوامل القوة السياسية ويصبحون بذلك ذوي أهمية ولو لم يتلقف الناس القصائد العربية القديمة متأخراً لتكون شواهد على لغة القرآن المقدسة، لانتقلت هذه القصائد بالراوية إلى أنحاء البادية ثم لهوت إلى هوة النسيان ولما أصابت الشهرة التي أصابتها اليوم.

كما ذهب المؤلف إلى عرض آراء وتأملات كل من، الفريد فون كريمر، وتيودور نولدكه، ويوليوس فيلهاوزن، في الإسلام والشرق، موضحاً استقلال الدراسات الإسلامية، كعلم على يد هارتمن وكارل هاينرش بيكر..

وقد تناول المؤلف تطور الدراسات الإسلامية، ومراحل تطورها حتى العقد الرابع من القرن الحالي، فاستعرض تاريخ الأدب العربي لبروكلمن، ودائرة المعارف الإسلامية، كما أشار إلى البحوث التي تناولت (محمد ﷺ)، والقرآن الكريم في المنطقة الألمانية في المائة عام الماضية، والبحوث التي تناولت التاريخ الثقافي والتاريخ السياسي، وأصول الدين، وتاريخ العقيدة، وتاريخ الفرق، تدينا وتصوفا والشريعة الإسلامية، والفلسفة والطب والعلوم الطبيعية والرياضة، وعلم الآثار، وتاريخ الفن.

وانتقل المؤلف إلى نقطة أخرى وهي العناية بالدراسات العربية وتطورها إلى العقد الرابع من القرن الحالي: من نحو، ومعاجم، وفهارس الكتب العربية، ومجموعات المخطوطات

وقوائمها، والشعر ، والنثر العربي. مشيراً إلى البحوث والدراسات التي تناولت كل مجالي من المجالات المذكورة..

أما عن الاستشراق الألماني منذ عام ١٩٣٣م، فيرى المؤلف أن الحرب العالمية الأولى، واستيلاء النازي على السلطة في ألمانيا أثرا على الاستشراق الألماني، وأصيب أولئك العلماء الذين كانوا يقومون بعملهم حتى ذلك الوقت، بالرعب المعنوي المتزايد، واضطر منهم من اضطر إلى الهجرة وكانت النتيجة نقصاً واضحا في عدد المستشرقين..

وينتقل المؤلف إلى محطة أخرى وهي الدراسات الإسلامية، فيتحدث عن اتساع ميدان العلم، ودليل الاستشراق، وطبعات كتاب السير، ودراسات المخطوطات وقوائم المخطوطات، فبلاد العرب قديماً، ومحمد ﷺ والقرآن، والتاريخ السياسي والثقافي، والعصور الأولى، ثم تاريخ مصر، وتاريخ فاس، والتاريخ العثماني، والتاريخ الثقافي، فأصول الدين الإسلامي وتاريخ العقائد والفرق، ثم التنسك والتصوف والطوائف، والعادات والثقافة المادية، والشريعة الإسلامية، والفلسفة والطب والعلوم الطبيعية والرياضيات، فعلم الآثار وتاريخ الفن، والوضع الراهن في العالم الإسلامي .. مشيراً إلى البحوث التي تناولت المجالات التي ناقشها المؤلف في كتابه.

أما الدراسات العربية منذ عام ١٩٣٣م، فقد حصرها المؤلف في النقاط الآتية :

- تاريخ اللغة والنحو.
- المعاجم.
- شعراء عرب .
- النثر العربي.

واستعرض البحوث التي تناولت النقاط الآنفة ذكرها.

وقد عرض المؤلف أيضاً أسماء مؤسسات ومنظمات الإستشراق ، بالإضافة إلى المجلات والسلاسل التي تتناول موضوع الإستشراق ، فنظرة إلى الوراء ونظرة إلى الأمام، مع الإشارة إلى أن هناك آمالا في أمر توسيع وتطوير الإستشراق الألماني.

وختم المؤلف كتابه بعرض لأسماء المستشرقين الذين ورد ذكرهم في الكتاب.

○ ○ ○

أحمد، إبراهيم خليل / المستشرقون والمبشرون في العالم العربي والإسلامي ــ القاهرة: مكتبة الوعي العربي، ١٩٦٤م، ١١٠ ص.

بدأ المؤلف بافتتاحية موجزة لكتابه، ثم عرض تقرير الإدارة العامة للدعوة بوزارة المعارف ، فتمهيد، فمقدمة للكتاب. تناول من خلالها، نشأته، وتهذيبه، وممارسته للحياة العملية، ونقطة حول هدايته للإسلام، ونقطة حول اعتناقه الإسلام ديناً ودخوله إلى الإسلام مع أبنائه الأربعة في ١٩٥٩/١٢/٢٥م.

«يقول المؤلف : (لقد أراد الله لي خيراً، فهداني إلى الإسلام بينما أنا في جهالتي وحماقتي أردت للإسلام تقويضاً وللمسلمين أن يدخلوا في رحاب النصرانية، فعفا الله عما سلف..).

ثم يعرض القرار الذي اتخذه لإشهار إسلامه ، مشيراً إلى أن ميزة هذا القرار أنه من واقع الحياة التي عاشها في العهد السابق.

ويبيّن أن التبشير والاستشراق يقويان بمقدار تخلف الشعوب، وبمقدار سيطرة المستعمر على البلاد وأنهما من وسائل تمكين الاستعمار ترسيخ أقدامه في البلاد، وأنهما وسيلة للتفرقة العنصرية، وأنهما وسيلة لإضعاف اللغة العربية في ربوع العالم العربي، ولهذا كان من الضروري إعداد ما استطعنا من قوة وفكر ومن إيمان خالص لوقف تيار التبشير في العالم العربي عملاً بقوله تعالى : (وأعدوا لهم ما استطعتم من قوة).

ثم تحدث المؤلف عن الجهاز الكنيسي البروتستانتي لسنة ١٩٦٠م والمتمثلة في المحفل العام، والسياسة الإستعمارية، واتحاد الكنائس، والبورد، والإرسالية الأمريكية، والسنودس، والمؤتمر العام، والمجمع الأمريكي، والإرسالية الأمريكية بشوتس بالإسكندرية، ومجتمع الخدام، ومجلس الكنيسة .. ثم بيّن اختصاصات المجمع الأمريكي، والمؤسسات التي يديرها هذا المجمع، من كنائس، وجمعيات، ومدارس، وكليات ومستشفيات، وملاجىء.

وقد عرض المؤلف بيانات إحصائية عن عدد الكنائس، وأماكن وجودها في مصر، ثم يرى بأن الاستشراق والتبشير صنوانٌ لا يختلفان في الهدف، وكلاهما دعامة الاستعمار في الشرق الإسلامي، وكلاهما دعوة إلى توهين القيم الإسلامية، والغض من اللغة العربية الفصحى، وتقطيع أواصر القربى بين الشعوب الإسلامية والتنديد بحال الشعوب الإسلامية الحاضر،

والإزدراء بها في المجالات الدولية العالمية.

وقد ذهب المؤلف إلى ذكر أسماء أشهر المؤسسات التعليمية ذات الصلة بالتبشير في الشرق العربي وهي — كما ذكرها المؤلف — : جامعة القديس يوسف في لبنان، والجامعة الأمريكية ببيروت، والجامعة الأمريكية بالقاهرة، والجامعة الأمريكية بإستانبول، والكلية الفرنسية في لاهور. ثم أشار إلى المنشور الذي أصدرته الجامعة الأمريكية في بيروت عام ١٩٠٩م، الذي كان رداً على احتجاج الطلاب المسلمين لإجبارهم على الدخول يومياً إلى الكنيسة.

وعن تدفق التبشير والاستشراق على مصر ونشأة الكنيسة البروتستانتية — يرى المؤلف — أن الأمريكيين استطاعوا تحت لواء الامتيازات الممنوحة للأجانب وباسم الصداقة للشعوب الآسيوية الإفريقية أن يغزوا آسيا وإفريقية بوفود المبشرين والمستشرقين .. واستطاعوا بأموالهم أن يؤسسوا لهم مراكز تبشيرية وعلمية .. واستطاعوا بفضل نفوذهم السياسي وتحت ضعف أقباط مصر أن ينتزعوا نفراً من بين أبناء الكنيسة القبطية لتأسيس الكنيسة البروتستانتية، واستطاعوا أيضاً بمعونة الإنكليز أن ينتزعوا من الباب العالي من خديوي مصر حق حماية الأقلية بمصر والسودان مما ثبت أقدامهم في البلاد ومكنهم من استغلال مواردها. وقد وضح المؤلف مدى نشاط هذا العمل التبشيري، بحيث يسير في أي قطر متأثرا بالناحية السياسية تأثرا كبيرا.. ففي البلاد المتمتعة بحريتها واستقلالها يسير العمل التبشيري في أسلوب الدهاء باستخدام تلاميذ المبشرين والمستشرقين من الوطنيين، حتى لا يصدموا بقوانين البلاد، فيكرهوا على الرحيل الفوري .. ثم قارن المؤلف بين مستشفى قصر العيني، ومستشفى هرمل، فبيّن خطورة المبشرين ، وحقيقة العمل التبشيري، ونطاقه ووسيلته..

وتناول المؤلف العمل التبشيري في المستشفيات ، والمدارس .. ثم تابع حديثه عن رواسب التبشير والاستشراق ، من أنها توجيه سافر من الإستعمار الذي يهدف إلى شل القيم الدينية والإسلامية، وإلى الإزدراء باللغة العربية بصورة إيجابية، وذلك بتقديم العلم الأوربي، وتمجيد الحضارة الأوربية، والتمسك بأهداف المد : الغربية..

ثم برهن بأن الإسلام قوة لا تقهر، مستشهداً بالآيات القرآنية الكريمة، وأقوال الصحابة الكرام رضوان الله عليهم، وأمثلة من أمجاد الإسلام.

وقد عرض المؤلف السياسة العامة للتبشير والاستشراق ، وأعمال هؤلاء المبشرين والمستشرقين، فحصرها في النقاط التالية:

١ — الإشتراك في المجالات العلمية الرسمية كالمجمع اللغوي بمصر، والمجمع اللغوي بدمشق، وعرض أسمائهم ، وأعمالهم.

٢ — مقاصدهم من التمثيل في المجالات الرسمية.

٣ — مؤلفاتهم .

٤ — تلاميذ المستشرقين والمبشرين (عملاء الإستعمار)، وممن ذكر المؤلف أسماءهم : فيليب حتي — بطرس عبد الملك.

٥ — تمويلهم.

ولخص السياسة التوجيهية العامة في صورتين اثنتين :

الصورة الأولى : قيام بعض المفكرين ادعياء الاسلام بأعمال تؤدي إلى إقرار سياسة الاستعمار وتثبيت ولايته على المسلمين من الوجهة الإسلامية.

الصورة الثانية : تكون بقيام بعض العلماء الغربيين بإبراز الخلافات المذهبية، وتأكيد الفجوات والثغرات بين الطوائف والشعوب الإسلامية.

ثم تناول المؤلف موضوع التشريع الإسلامي، والشريعة الإسلام، مؤكداً أن الإسلام وحده يرعى مصالح العباد، ولكن الاستعمار لا يزال يتربص بالعرب والمسلمين وذلك بتمجيد القيم الغربية المسيحية ومقارنتها بالقيم الإسلامية، والحط من التضامن والتكتل الإسلامي، ليصل بذلك إلى تفتيت وحدة المسلمين إلى الأبد.

○ ○ ○

الهراوي، حسين / المستشرقون والإسلام . [القاهرة؟]: (مطبعة المنار)، ١٣٥٥ هـ — ١٩٣٦م، ١٠٧ ص.

عرض المؤلف في بداية هذا الكتاب الفصول التي تناولها (فهرس الكتاب)، ثم قصيدة شعرية بعنوان : من أحمد نسيم الشاعر إلى الدكتور حسين الهراوي.

وقد تحدث في الفصل الأول من الكتاب عن ظهور الإسلام من وسط قبائل مفككة، فتكونت أمة تشعر بوجودها الأدبي وتقوم برسالتها بين الأمم المتجاورة، فتكتسح المعتقدات البالية، وتقضي على ملك الفرس والرومان وترثه..

ويرى المؤلف أن الإسلام هو أول مطلع للتفكير الحر، والتحلل من قيود التقاليد، وهو في تعاليمه ينافي الإستعمار، وينافي الخضوع لكائن من كان إلا للواحد الديان. وفضلاً عن ذلك فإن الإسلام عطف على الأديان الأخرى .. إضافة إلى أن الإسلام طبع الشعوب التي انتشر فيها بطابع آخر هو الطابع العربي ..

ثم بيَّن المؤلف نشأة الاستشراق في بلاد الغرب، واعتكاف جماعة من الغربيين على لغات الشرق وتاريخه ودينه دراسة واستذكاراً وحفظاً وتحقيقاً وتغلغلاً في البحث، فقام هؤلاء المستشرقون بدورهم بنشر مؤلفات يصفون الشرق فيها بصورة مشوهة، ويصمون الإسلام بكل المخازي التي هو منها براء، وقد تأثر الشرق نفسه بتلك الدعاية، فاعتقد الشرقيون أن عاداتهم وأخلاقهم وشعوبهم في مستوى أدبي وعقلي أقل من المستوى الأوربي، فأخذوا يقلدون الغربيين في كل شيء في المعنويات وفي الماديات..

وقد كشف المؤلف الغطاء عمَّا يقوم به المستشرقون من مفاسد، منهياً حديثه في هذا الفصل بأسباب وضع الكتاب قائلاً: (.. إننا نريد تنبيه الناس إلى طلائع الإستعمار، ومصدر تغذية المبشرين، ولا ندعي أننا ندافع عن الإسلام بهذا الكتيب. فنحن أهون من أن تكون لنا هذه المنزلة الرفيعة، ولكننا نريد أن نهتك سترهم ونظهر حقيقتهم..).

أما في الفصل الثاني فتناول الحديث عن سيدنا محمد ﷺ قبل البعث، وقيامه بهذه الدعوة الناجحة .. ثم ناقش رأي دورمنجهام وإفتراءاته على رسول الله ﷺ .. ودفع شبهة اختلاط النبي بالرهبان، وفند خرافة أن النبي ﷺ استفاد القرآن من رحلته للشام حيث يقول المؤلف: (.. ولو طاوعنا هؤلاء فيما زعموا، وبحثنا عن كل حكم من أحكام القرآن ومصدره ورأينا حكماً منها من السند والآخر من الهند والآخر من فارس ومن مصر وأثينا وروما لكان لهذا النبي آلاف الأسفار والإشتغال بالجامعات عدة قرون قبل أن يأتي بكتاب لو اجتمعت الإنس والجن على أن يأتوا بمثله لما استطاعوا ولو كان بعضهم لبعض ظهيراً..).

وفي الفصل الثالث تحدث عن التحليل النفسي لحياة محمد ﷺ قبل البعث، والتحنث في الغار والطواف بالكعبة، كما تحدث أيضاً عن العقل، والغرائز والظواهر العقلية، فيرى بأن النبي كان وحدة مستقلة، وورث عن آبائه شرف النفس. ثم تناول طفولة النبي ﷺ، وهو يتيم، وحاجة هذا اليتيم إلى الحنان، وحياته وهو غلام، فتاجر، ثم دين محمد ﷺ قبيل الوحي، وإحترامه للكعبة في ذلك الوقت، موضحاً أن دين محمد ﷺ وتصرفاته قبل البعث كانت كلها من منبع الغرائز والإلهامات العالية. وذهب المؤلف في الفصل الرابع بالحديث عن تحطيم الأصنام، وفساد العالم قبيل البعثة، والرد على مفتريات المستشرقين، بأن العظماء ليسوا بحاجة إلى التعليم، ثم يكشف عن افساد اليهود لحياة العرب.

وقد تناول المؤلف في الفصل الخامس موضوع التوحيد، مبيِّناً أن التوحيد هو روح الحرية، وتحدث عن انقسامات الفلاسفة وفرقهم، ثم مناقشة الفلاسفة، فإعجاز القرآن، وحكمة الإسلام في الحرية الشخصية، ومبادىء الإسلام التي تكمن في الحرية والإخاء والمساواة، ثم قارن المؤلف بين الحرية الإسلامية والفرنسية، مؤكدا بأن العالم مدين للإسلام بتحرير الفكر، ويرى بأن المستشرقين والمستعمرين يفهمون ذلك حق الفهم ولذلك هم يعملون على مقاومة الإسلام.

وفي الفصل السادس بحث المؤلف أثر التوحيد الإجتماعي، موضحاً بأن الإسلام لا يجعل سلطاناً على النفوس والعقول إلا لله وحده، وما دون ذلك فالجميع سواء وآراء الناس كلهم قابلة للشورى والفحص ولو كان الرأي لرسول الله ﷺ نفسه، وليس بعد ذلك وضوح لتقدمي حرية الفكر التي هي دعامة من الدعامات الأصلية في الإنسان وهذا هو أظهر معنى من معاني الإسلام.

وفي الفصل السابع تناول المؤلف تعليقات المستشرقين على التوحيد، وحياة محمد وقد عرض أسماء هؤلاء المستشرقين وهم: ريتان، وبرينو، ومرجوليث.

وناقش المؤلف آراءهم الفاسدة عن الإسلام، ومحمد والقرآن، وردَّ على إفتراءاتهم واتهاماتهم الباطلة.

وفي الفصل الثامن ناقش المؤلف حكاية فنسنك والمجمع

اللغوي الملكي، مبيّناً أن عصابة فنسنك في تحرير دائرة المعارف الإسلامية تكتب على أسلوب القرون المتوسطة، وتفرض على الناس فرضاً أن تعلمهم كل شيء ضد الإسلام.

وقسم المؤلف المستشرقين إلى ثلاثة فرق :

ـــ قسم يختص بمباحث القرآن.

ـــ قسم يختص بمباحث سيدنا محمد ﷺ.

ـــ قسم يختص بالتاريخ العربي الإسلامي.

أما في الفصل التاسع فتحدث عن فنسنك، موضحاً أن المستشرقين أساس الفساد، وأن لهم جمعية دولية.

وفي الفصل العاشر تحدث المؤلف عن موضوع تعدد الأزواج والحجاب والطلاق، ومعالجة الإسلام لها بأدق ميزان الحكمة والعقل، فكانت خاتمة هذا الكتاب.

الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري (لمحمود زقزوق)

د. إبراهيم صغيرون
أستاذ مساعد بكلية العلوم الاجتماعية
جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية

زقزوق، محمود حمدي / الاستشراق والخلفية الفكرية للصراع الحضاري .. الدوحة : رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية، ١٤٠٤ هـ، ١٥٦ ص (كتاب الأمة ـــ ٥).

تمهيـــد : هذا كتاب جم الفائدة قام بتأليفه الدكتور محمود حمدي زقزوق استاذ الفلسفة الإسلامية في جامعتي الأزهر وقطر ووكيل كلية الشريعة والدراسات الإسلامية بجامعة قطر، وله عدد من المؤلفات والأبحاث في مجالات الفلسفة الإسلامية والفلسفة العامة والأخلاق والدراسات الإستشراقية.

وهذا الكتاب هو الخامس في سلسلة «كتاب الأمة» التي تصدر عن رئاسة المحاكم الشرعية والشؤون الدينية في دولة قطر إسهاماً منها في تحقيق الوعي والحصانة الفكرية في أوساط المسلمين. وقد تم نشر الكتاب حديثاً في صفر ١٤٠٤ هـ/١٩٨٣م ويقع في حوالي ١٥٦ صفحة من القطع الصغير. وقد قدم للكتاب الاستاذ عمر عبيد حسنة الذي أشاد بالموضوع والمنهج العلمي الذي اتبعه المؤلف في العرض والتحليل، كما نوه بحاجة المكتبة الاسلامية لهذا النوع من الكتب التي تعرض للقضايا الفكرية التي يعاني منها عالم المسلمين.

عرض الكتاب :

يحتوي هذا الكتاب على مقدمة وثلاثة فصول وفهرس.

تناول المؤلف في المقدمة الأبعاد والمفاهيم العامة المتعلقة بموضوع الاستشراق وأهمية التصدي لهذه المسألة الفكرية التي أصبحت في حقيقة الأمر جزءاً لا يتجزأ من قضية الصراع الحضاري بين العالم الاسلامي والعالم الغربي. وقد حدد المؤلف منذ البداية منهجه الرامي لتوخي الموضوعية والبعد عن المواقف الجدلية الانفعالية ومن أجل ذلك أراد أن يخاطب القارىء واضعاً أمامه القضية بايجابياتها وسلبياتها واشراكه في البحث عن الحلول الجادة.

١ ـــ الفصل الأول (ويقع في ٤٢ صفحة) ويشتمل على مدخل تاريخي حول نشأة الاستشراق وتطوره وقد قصد المؤلف منه القاء نظرة عامة تبرز بعض المعالم الرئيسية والخطوط العريضة في هذا الصدد. وقد بدأ بتسليط الضوء على البدايات الأولى للاستشراق في القرون الوسطى خاصة عندما لفت الانتشار السريع للاسلام في الشرق والغرب أنظار رجالات اللاهوت النصراني الى هذا الدين كما بين الدافع لهذه البدايات المبكرة للاستشراق والذي كان يتمثل في ذلك الصراع الذي دار بين العالمين الاسلامي والنصراني في الأندلس وصقلية، كما دفعت الحروب الصليبية بصفة خاصة إلى